

تفسير البحر المحيط

@ 234 ° بِرِسْحَرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَارٍ يَقْتَكُمُ الْمُثُلَى * فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَتْهُمَا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى . . .
ولما ذكر موسى دلالة على ربوبية □ تعالى وثم كلامه عند قوله { وَلَا يَنْسَى } ذكر تعالى ما نبه به على قدرته تعالى ووحدانيته ، فأخبر عن نفسه بأنه تعالى هو الذي صنع كيت وكيت ، وإنما ذهبنا إلى أن هذا هو من كلام □ تعالى لقوله تعالى { فَأَخْرَجْنَا } وقوله { كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْزِعَامَكُمْ } وقوله { وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ } فيكون قوله { فَأَخْرَجْنَا } و { أَرَيْنَاهُ } الالتفات من الضمير الغائب في { * أعل } وسلك إلى ضمير المتكلم لمعظم نفسه ، ولا يكون الالتفات من قائلين وأبعد من ذهب إلى أن الذي نعت لقوله { إِنْ نَّهْ رَبِّي } فيكون في موضع رفع أو يكون في موضع نصب على المدح وقالهما الحوفي والزمخشري لكونه كان يكون كلام موسى فلا يتأتى الالتفات في قوله { فَأَخْرَجْنَا } { وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ } . . .

وقال ابن عطية : يحتمل أن يكون { فَأَخْرَجْنَا } من كلام موسى حكاية عن □ تعالى على تقدير يقول عز وجل { فَأَخْرَجْنَا } ويحتمل أن يكون كلام موسى تم عند قوله { وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } ثم وصل □ كلام موسى بإخباره لمحمد صلى □ عليه وسلم) والمراد بالخطاب في لكم الخلق أجمع نبههم على هذه الآيات . وقرأ الأعمش وطلحة وابن أبي ليلى وعاصم وحمزة والكسائي { مِهَادًا } بفتح الميم وإسكان الهاء ، وباقي السبعة مهاداً وكذا في الزخرف فقال المفضل : مصدران مهد مهذاً ومهاداً . وقال أبو عبيد : مهاد اسم ، ومهد الفعل يعني المصدر . وقال آخر { مِهَادًا } مفرد ومهاد جمعه ، ومعنى ذلك أنه تعالى جعلها لهم يتصرفون عليها في جميع أحوالهم ومنافعهم ، ونهج لكم فيها طرقاً لمقاصدكم حتى لا تتعذر عليكم مصالحكم . والضمير في { بِهِ } عائد على الماء أي بسببه .

{ أَرْزُوجًا } أي أصنافاً وهذا الالتفات في أخرجنا كهو في قوله { أَلَمْ تَرَ أَنْزَلْنَا السَّمَاءَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا } { أَمْ مِّنْ خَلْقٍ * السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ * وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا } { وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ } وفي هذا الالتفات تخصيص أيضاً بأننا نحن نقدر على مثل هذا ، ولا يدخل تحت قدرة أحد والأجود أن يكون { شَتَّى } في موضع نصب نعتاً لقوله { أَرْزُوجًا } لأنها المحدث عنها . . .

وقال الزمخشري : يجوز أن يكون صفة للنبات ، والنبات مصدر سُمِّيَ به النبات كما
سُمِّيَ بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع ، يعني أنها { شَتَّى } مختلفة النفع والطعم
واللون والرائحة والشكل ، بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم . .

قالوا : من نعمته عز وجل أن أرزاق العباد إنما تحصل بعمل الأنعام وقد جعل الله علفها مما
يفضل عن حاجتهم ولا يقدرّون على أكله { كُلُواْ وَارْعَوْاْ أَنْعَامَكُمْ } أمر بإباحة
معمول لحال محذوفة أي { فَأَخْرَجْنَا } قائلين أي آذنين في الانتفاع بها ، مبيحين أن
تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها ، عُدِّيَّ هنا { وَارْعَوْاْ } ورعى يكون لازماً ومتعدياً
تقول : رعت الدابة رعياً ، ورعاها صاحبها رعاية إذا سامها وسرحها وأراحها قاله الزجاج
 . وأشار بقوله { إِنَّ } في ذلك { للآيات السابقة من جعل الأرض مهدياً وسلك سبلها

وإنزال الماء وإخراج النبات . وقالوا { الذُّهُى } جمع نهية وهو العقل سُمِّيَ بذلك
لأنه ينهى عن القبائح ، وأجاز أبو علي أن يكون مصدراً كالهدي . والضمير في { مِنْهَا }
يعود على الأرض ، وأراد خلق أصلهم آدم . وقيل : ينطلق الملك إلى تربة المكان الذي يدفن
فيه من يخلق فيبدها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معاً قاله عطاء الخراساني .

وقيل : من الأغذية التي تتولد من الأرض فيكون ذلك تنبيهاً على ما تولدت منها الأخطا
المتولد منها الإنسان فهو من باب مجاز المجاز { وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ } أي بالدفن بها
أو بالتمزيق عليها { وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً } بالبعث { تَارَةً } مرة {
أُخْرِى } يؤلف أجزاءهم المتفرقة ويردّهم كما كانوا أحياء . وقوله { أُخْرِى } أي
إخراجة أخرى لأن معنى قوله { مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ } أخرجناكم . .

{ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا } هذا إخبار من الله تعالى لمحمد صلى
الله عليه وسلم) ، وهذا يدل على أن قوله { فَأَخْرَجْنَا } إنما هو خطاب له عليه السلام
{ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ } هي المنقولة